تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث

العدد الاول (١٤) - السنة الرابعة / محرم ١٤٠٩هـ.

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث

■ الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.

■ الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة.

■ ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنّية، وليس لأيّ اعتبار آخر.

■ النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها.

المراسلات :

تعنون باسم: **هيئة التحرير**

بيروت ـ بئرالعبد ـ مقابل البنك اللبناني / الفرنسي

ص. ب ٢٤/٣٤ ـ تلكس ٤٠٥١٢ ـ ت: ٨٢٠٨٤٣

تراثنا

العدد الأول [١٤]/ السنة الرابعة/ محرّم- صفر- ربيع الأول ١٤٠٩ هـ . ق.

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث.

الكمّية: ١٠٠٠ نسخة.

قيمة الإشتراك السنوي في نشرة تراثنا ١٥ دولاراً داخل لبنان ، و٢٥ دولاراً في البلاد العربية وأوروبا وآسيا وأفريقيا والأمريكيتين واستراليا . بضمنها أجور البريد المضمون .

من أدب الدعاء في الإسلام

ضَبْطُه عند التحمُّل والأداء
وتنزيهُهُ عن اللحن والتحريف
ودعوة إلى إحيائه وتحقيق كتبه

السيّد محمّد رضا الحُسَيْني

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمدُ لله وصلّى الله على سادتنا محمد وآله الأطهار.

١ ـ حقيقة الدعاء والأدعية الماثورة:

إنّ الدعاء ـ في حقيقته ـ يمثّل المعاني القيّمةَ، التي تتبلور في نفس الداعي، ويستتبع التوجُّه العميقَ إلى الذات الإلٰهية، فالفناءَ في وجوده الواجب، ثم الرجوع إلى عالم المادّة، لأداء مهمّة الروح العُليا، روح العدالة والحقّ والصدق وبالتالي: الخلاص من كل العبوديات.

وفي هذا السَفَر السريع البطيء، والطويل القصير، لا حاجة إلى أيّ شيء، سوى التركيز على نُقطة المبدأ، ومركز الانتهاء.

فلا يمكن أنْ نقيّد الدعاءَ ـ بعد أنْ كان عملاً روحياً ـ بأي قيْد، من زمان أو مكان أو لفظٍ، ولا بأيّة لغة أو صيغة أو نصّ.

وقد رسم الإمام الصادق، أبوعبدالله جعفر بن محمد عليه السلام، لهذه

(*) فصل من كتاب «الدعاء في الإسلام: ما هو؟ وكيف؟ ولماذا؟» للسيّد محمدرضا الحسيني.

الفكرة خطّة واضحة، في الحديث التالي:

عن زرارة، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: عَلِّمني دعاءً؟ فقال: إنّ أفضل الدعاء ما جرى على لسانك[١].

فإذا كان الداعي لم يُطِقْ أنْ يستوعب أكثر ممّا يجري على لسانه، فإنّ ذلك يكفيه، والمهمّ أن يكون ملتفتاً إلى أساس الدعاء ولُبّه وهو التركيز على نقطة المبدأ ومركز الانتهاء، في سيره الروحيّ.

وقد أفصح الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم عن هذه الحقيقة لمّا سأل رجلاً: كيف تقول في الصلاة؟

فأجاب الرجل: أتشهّدُ ثم أقول: «اللّهمّ إنّي أسألك الجنّة، وأعوذُ بك من النار».

وأضاف الرجل: أما إنّي -والله- لا أُحسن دَنْدَنَتك، ولا دندنةَ معاذٍ.

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: حولَها نُدَنْدِنُ[٢].

لكنّ الإسلام قد حدَّد للدعاء المختار حدوداً، وقرَّر له شروطاً، راعى في ذلك بلوغه إلى الكمال المطلوب، ومن ذلك ما يرتبط بألفاظه ولغته.

ففي الوقت الذي أكدّ على جوانب معناه وأهدافه، لم يُهمل جانب أدائه وصيغته.

والحقّ، أنّا إذا أردنا أنْ نركّز التفاتنا كاملاً، فإنّ كل الحواسّ -وهي ترتبط بواسطة الأعصاب بعضها بالأُخرى- لابُدّ أنْ تتّجه وتلتفت سواء الحواسّ الخارجية وجوارحها، أم الحواسّ الباطنية وقابلياتها، وحاسّة النطق -وهي المعبّرة عن الجميع- وآلتُها اللسان، لابُدّ أن تتحرّك أعصابه، فتكون كلمة الداعي

---

(١) وسائل الشيعة ٤/١١٧١.

(٢) الأسماء المبهمة -للخطيب البغدادي-: ١١٦ رقم ٦٣، وانظر: كنزالعمّال ٢/٨٨.

حاسمةً، وتكون ألفاظ الدعاء مركّزة موجّهة.

أليست الألفاظ تعبيراً عن مكامن الضمير، وسرائر الوجدان؟

أليست الكلمات النابعة عن طلبات الروح، أصدق دليل على التركيز في التوجّه والالتفات؟

ومن يدري؟!

فلعلّ العبد الداعي يكون أقرب إلى مولاه الجليل، عند بعض الحالات، وأداء بعض النغَمات، وتلاوة بعض الكلمات، وفي بعض المقامات والأوقات؟ دون غيرها؟!

إنّ النيّة الواحدة، قد تُصاغ بأشكال مختلفة، وتُؤدّى بأساليب متنوّعة، وقد تصحبها أنغام متفاوتة.

فأيّاً منها نختار؟ لنتوسّل به إلى هذا السير الروحي، ونتزوّد منه على هذا الطريق الصعبة، ونتوصّل بسببه إلى النتيجة المنشودة.

ما أروع للداعي، لو عرف، أو تنبّه إلى أجمل لفظةٍ في أبدع أُسلوب، وإلى أليق تعبير في أرّق نغمة، وكان دعاؤه نابعاً من أعماق الضمير، ليكون أرغب إلى مقام الأُنس، وأقرب إلى حظيرة القدس، وآكد في تحقيق رغبات النفس.

أليس هذا هو الأحسن، والأضمن لحصول الإجابة؟

لكن ليس الإفراط في المحافظة على اللفظ، والتوغّل في مراعاة أداء الحروف وضبط الحركات، هدفاً للمتكلّم الواعي، ولا غايةً للإنسان الهادف، فضلاً عن المسلم الذي يقوم بمهمّة عظيمة مثل الدعاء.

فإنّ الدعاء ـ قبل أن يتبلور في الجمل والكلمات ـ إنّما هو نور مضيء ينقدح فيفيض على اللسان، ولو كان القلب كدراً لم ينقدح فيه ذلك النور، فأين له أن يظهر على لسان صاحبه، الدعاء؟!

قال الإمام الصادق عليه السلام: تجد الرجل لا يُخطئ بلام ولا واو،

خطيباً مصقعاً، ولَقلبُه أشدّ ظلمةً من الليل المظلم[٣].

وهكذا الانهماك في تطبيق القواعد اللفظية، بما يصرف توجّهه عن المعاني ويقطع التفاته عن الهدف.

وهو ما ذكره الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما روي عنه، من قوله: من انهمك في طلب النحو سُلب الخشوع[٤].

نعم، إنّ إغفال جانب اللفظ وحسن التعبير، وصحّة النصّ وسلامة العبارة عيب، بلا ريب، في الدعاء، يحطّه عن مرتبة الكمال اللازم في كل جوانب الدعاء من لفظه ومعناه، ولابُدّ للداعي العارف، المتمكّن من ذلك أن يتّصف به، فيكون دعاؤه بمستوى ما يطلب من المقام الرفيع المنشود.

ومن هنا وردَ التأكيد البليغ على اتّصاف الدعاء بالأدب، ويراد به «الأدب العربيّ» في مراعاة القواعد اللغوية والنحوية والبلاغية، إذا بلغ الداعي مرتبة عالية من العلم والمعرفة، وبلغ من الدين والعقيدة مبلغاً يحسن مثل هذا الطلب منه.

قال الإمام أبوجعفر محمدبن علي، الجواد عليه السلام: ما استوى رجلان في حسب ودين ـقطّـ إلّا كان أفضلهما عندالله آدَبهُما.

قال الراوي: جُعلتُ فداك، قد علمت فضله عند الناس، في النادي والمجالس، فما فضله عندالله عزّوجلّ؟!

قال عليه السلام: بِقراءة القرآن كما أُنزل، ودعائه الله عزّوجلّ من حيث لا يلحن، وذلك أنّ الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله عزّوجلّ[٥].

إنّ الكمال اللازم يجب أنْ يعمّ أدب الداعي ومعارفه، فيكون كاملاً في لغته التي يتقدّم بالدعاء بها، بعيداً عن اللحن المُزْري، فإنّ الله يحبّ أن يرى

---

(٣) الكافي ـ الأُصول ـ ٢/٤٢٢.

(٤) بحارالأنوار ١/٧ـ٢١٨.

(٥) عدّة الداعي: ١٨، وسائل الشيعة ٤/١١٠٧، وانظر: كنزالعمّال ٢/٢٩٣.

عباده يناجونه بأحسن ما يناجي به أحدٌ أحداً.

أليس القرآن ـ وهو كلام الله ـ نزل بأبلغ ما يكون الكلام وأعذبه، فليكن ما يخاطب به العبد مولاه ـ كذلك ـ في أوج ما يقدر عليه من الكلام الطيّب والذكر البديع، المنزّه عن عيب اللحن، والوهن.

إنّ الإسلام ـ في الوقت الذي ينصّ على الاكتفاء بما يجري على اللسان من الدعاء، إذا لم يعرف الداعي نصّاً مأثوراً، لأنّ ذلك أدنى ما يأتي منه ـ فإنّه لا يكتفي ممّن يمكنه الوصول إلى المأثور، أن يقتنع بالدعاء الذي يخترعه من عند نفسه.

عن عبدالرحيم القصير، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فقلت: جعلت فداك، إنّي اخترعت دعاءً!

قال عليه السلام: دَعْني من اختراعك.

إذا نزل بك أمر فافزع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وصلّ ركعتين تُهديهما إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله...[٦].

وعلّمَه دعاءً يتلوه.

إنّ الدعاء المأثور، هو ـ بلا ريب ـ أقوى، وأصدق، وأضبط، فهو أوصل إلى المطلوب، ممّا يخترعه ذهن الإنسان العادي، ويلوكه لسانه.

٢ ـ المحافظة على النصّ المأثور:

فإذا كان الدعاء المأثور بهذه الدرجة من الضرورة، فلابُدّ أن تكون المحافظة عليه شديدةً جدّاً، ولابُدّ أن يواظب الداعي على نصّه، كي لا يتجاوزه في حرف أو حركة، وإلّا لم يبلغ المنشود المترقّب من ذلك الدعاء، وقد عرفنا «أنّ الدعاء الملحون لا يُرفع».

---

(٦) الكافي، كتاب الصلاة، باب صلاة الحوائج ٣/٤٧٦ ح ١.

وقد جاء النهي الصريح عن تجاوز نصّ الدعاء المأثور، أو تخطّيه، ولو بالزيادة فضلاً عن النقيصة، أو بتغيير لفظ إلى ما يرادفه، أو بوضع جملة مكان أُخرى، وإنْ كانا يهدفان غرضاً واحداً.

وذلك كلّه تقيُّداً بالمأثور، وأداءً لما ورد كما ورد.

فعن البراء بن عازب: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: يا براء، كيف تقول إذا أخذت مضجعك؟

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال صلّى الله عليه وآله: إذا أويت إلى فراشك طاهراً، فتوسّد يمينك ثم قل:

«اللّهمّ أسلمتُ وجهي إليك وفوّضتُ أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلّا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، وبنبيّك الذي أرسلتَ».

من قالها في ليلته ثم مات، مات على الفطرة.

قال البراء: فقلتُ ـ أستذكرهنّ ـ: «... ورسولك الذي أرسلت...».

فقال بيده في صدري: «لا، ونبيّك الذي أرسلت»[٧].

وعن إسماعيل بن الفضل، قال: سألتُ أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ «و سَبِّحْ بِحمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها» [طٰه ٢٠: ١٣٠].

فقال: فريضة على كل مسلم أن يقول قبل طلوع الشمس عشر مرّات،

---

(٧) أورده البخاري في صحيحه في مواضع: كتاب الوضوء ١/٣٠٨، وكتاب الدعوات ١١/٩٣ و ٩٧ و ٩٨، وكتاب التوحيد ١٣/٣٨٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء ٤/٢٠٨١؛ وأبوداود في السنن، أبواب النوم ٤/٤٢٥؛ وابن ماجة في السنن، كتاب الدعاء ٢/١٢٧٥، والترمذي في السنن، أبواب الدعوات ٢/٢٤٥، وأحمد في المسند ٤/٢٨٥ و ٢٩٠ و ٢٩٢ و ٢٩٦ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و٣٠٢ من طبعة الحلبي.

والطبراني في المعجم الصغير: ٣، والخطيب في الكفاية: ٢٧٠ طبعة مصر.

وقبل غروبها عشر مرات: «لا إلٰهَ إلّا الله وحدَهُ لا شريكَ له، لهُ المُلْكُ وله الحمدُ، يُحْيِي ويُميتُ، وهو حَيٌّ لا يموتُ بيده الخَيْر، وهو على كل شَيْءٍ قَديرٌ».

قال: فقلتُ: لا إلٰه إلّا الله وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمد، يُحْيِي ويُميتُ ويُميتُ ويُحْيِي...

فقال: يا هذا، لا شكّ في أنّ الله يُحْيِي ويُميتُ ويُميتُ وَيُحْيِي، ولكنْ قل كما أقول[٨].

وعن العلاء بن كامل: قال: «سمعتُ أباعبدالله عليه السلام يقول: «وَاذْكُرْ رَبَّكَ في نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفَةً ودُوْنَ الجَهْرِ منَ القَوْلِ» [الأعراف ٧: ٢٠٥] عند المساء: لا إلٰه إلّا الله وَحْدَهُ لا شريكَ له، له المُلك وله الحمدُ، يُحْيِي ويُميتُ ويُميتُ ويُحْيِي، وهو على كل شيء قدير.

قال: قلت:... بيده الخير.

قال: إنّ بيده الخير، ولكن قل كما أقول...[٩].

وعن عبدالله بن سنان، قال: قال الصادق عليه السلام: ستصيبكم شبهة، فتبقون بلا عَلَم يُرى ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلّا من دعا بدعاء الغريق.

قلت: كيف دعاء الغريق؟

قال: تقول: «يا الله، يا رحمنُ، يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك».

فقلت: يا مقلّب القلوب والأبصار ثبّت قلبي على دينك.

فقال: إنّ الله عزّوجلّ مقلّب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول: «يا

---

(٨) الخصال ـ للصدوق ـ: ٤٥٢ ح ٥٨ من أبواب العَشَرة؛ والوسائل، الصلاة، أبواب الذكر باب ٤٩، ٢٢٦/٧.

(٩) الكافي ـ الأُصول ـ ٣٨٣/٢ ح ١٧، الوسائل ٢٢٧/٧ ح ٦.

مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك»[١٠].

تدلّ هذه الأحاديث على أنّ الأدعية المأثورة توقيفية، وقع التعبّد بخصوص ألفاظها الواردة، وأنّ أدنى تغيير أو تبديل في كلماتها، أو أيّ لحن أو تحريف في حركاتها وحروفها، وإنْ لم يغيّر المعنى، يوجب أن لا يكون أداؤه صحيحاً، فلا يُتوقّع منه ما يترقّب منه فيما لو كان أداؤه تامّاً من الآثار الروحيّة.

وينبّئك بمدى تأثير الألفاظ المختلفة للنتائج المتغايرة، وإنْ كان الأثر الشرعي المترتّب على جميعها واحداً، ما ورد في باب «اليمين» وهو ما رواه الكليني بسنده عن صفوان الجمّال، قال:

حملتُ أباعبدالله عليه السلام الحملة الثانية إلى الكوفة وأبوجعفر المنصور بها، فلمّا أشرف على الهاشميّة ـ مدينة أبي جعفر ـ أخرج رجله من غرز الرحل ثم نزل، ودعا ببغلة شهباء، ولبس ثياب بيض وكمّة بيضاء، فلمّا دخل عليه قال أبوجعفر: لقد تشبّهت بالأنبياء.

فقال أبوعبدالله عليه السلام: وأنّىٰ تُبعدني عن أبناء الأنبياء؟

فقال: لقد هممتُ أنْ أبعث إلى المدينة من يعقر نخلها ويسبي ذرّيّتها.

فقال: ولم ذلك، يا أميرالمؤمنين؟

فقال: رُفع إليَّ أنّ مولاك المعلّى بن خُنيس، يدعو إليك ويجمع لك الأموال.

فقال: والله ما كان.

فقال: لستُ أرضى منك إلّا بالطلاق والعتاق والهدي والمشي.

فقال: أبالأنداد من دون الله تأمرني أن أحلف؟! إنّه من لم يرض بالله فليس من الله في شيء.

---

(١٠) إكمال الدين ـ للصدوق ـ (المطبوع باسم «كمال الدين» خطأ) ١/٣٥٢ باب ٣٣، ح ٤٩، وعنه بحارالأنوار ٥٢/١٤٩ ح ٧٣.

فقال: أتتفقّه عليَّ!

فقال: وأنّىٰ تبعدني من الفقه، وأنا ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله؟!

فقال: فإنّي أجمع بينك وبين من سعى بك.

قال: فافعل.

فجاء الرجل الذي سعى به، فقال له أبوعبدالله: يا هذا!

فقال: نعم، والله الذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، لقد فعلتَ.

فقال له أبوعبدالله عليه السلام: ويلك، تمجّد الله، فيستحيي من تعذيبك ولكن قل: «برئت من حول الله وقوّته، و لجأت إلى حولي وقوّتي».

فحلف بها الرجل، فلم يستتمّها حتى وقع ميّتاً.

فقال أبوجعفر: لا أُصدّق بعدها عليك أبداً؛ وأحسن جائزته وردّه[١١].

وقريب منه في قصّة يحيى العلويّ مع عبدالله بن مصعب الزبيري لمّا وشى به عند هارون الرشيد العبّاسي، فحلّفه يحيى[١٢].

٣ـ مشكلة تجويزهم نقل الحديث بالمعنى؟

قد ثبت لدى علماء الحديث تجويز نقل الحديث بالمعنى:

قال الشيخ العاملي: قد ذهب جمهور السلف والخلف، من الطوائف كلّها، إلى جواز الرواية بالمعنى، إذا قطع بأداء المعنى بعينه.. لما روّيناه بطرقنا عن محمّد بن يعقوب... عن محمد بن مسلم، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أسمع الحديث منك، فأزيد وأنقص؟

قال عليه السلام: إن كنت تريد معانيه، فلا بأس[١٣].

---

(١١) الكافي، كتاب الزيّ والتجمّل، باب لباس البيض ٦/٤٤٥-٤٤٦ ح ٣.

(١٢) الحدائق الوردية ـ للمحلّي ـ ١/١٩٢.

(١٣) وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار: ١٥٢ عن الكافي ١/٥١.

وروّينا بالسند عن داود بن فرقد، قال:

قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي أسمع الكلام منك، فأُريد أن أرويه كما سمعت منك، فلا يجيء.

قال: فتتعمّدُ ذلك؟ قلت: لا.

قال: تريد المعاني؟ قلت: نعم.

قال: فلا بأس[١٤].

وقد روى العامّة الترخيص في رواية الحديث بالمعنى، عن الأكثر، ونقلوه عن جماعة من الصحابة منهم الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام، وابن عبّاس، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع[١٥] ونسبه بعضهم إلى الجمهور[١٦].

وقد استدلّ الصحابي واثلة، على ذلك، باستدلال ظريف، لـمّا قيل له: حدّثنا بحديث سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليس فيه وهم، ولا تزيّد ولا نسيان!

قال: هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئاً؟!

قال الراوي: فقلنا: نعم، وما نحن له بحافظين جدّاً، إنّا لنزيد الواو والألف، وننقص!

قال: فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم، لا تألون حفظاً، وأنتم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عسى أن لا نكون سمعناها منه إلّا مرّة واحدة، حسبُكم إذا حدّثناكم بالحديث على المعنى[١٧].

فالحديث وهو يحتوي على الأحكام الشرعية وهو ثاني مصادر التشريع في

---

(١٤) المصدر، نفس الموضع.

(١٥) قواعد التحديث ـ للقاسمي ـ: ٢٠٧.

(١٦) توجيه النظر ـ لطاهر الجزائري ـ: ٧٦.

(١٧) تدريب الراوي ـ للسيوطي ـ: ٣١٢.

الإسلام، مع ما لذلك من الخطورة، التي تحتّم مزيد المراقبة والاحتياط فيها إذ أنّ أدنى تغيير فيه يؤدّي إلى تحريف الأحكام وتبديل شريعة الإسلام.

هذا الحديث إذا جاز نقله بالمعنى، فالدعاء، وهو ليس بتلك الأهميّة قطعاً لابُدّ أن يجوز فيه ذلك ؟!

وإذا لم يجز ذلك في الدعاء، والتُزم بنقل نصّه المأثور، فليكن ذلك في الحديث، وخاصة أحاديث الأحكام، كذلك، بطريق أولى.

والحاصل: أنّ روايات الدعاء هي من الحديث الشريف، فإذا جوّزنا رواية الحديث ونقله بالمعنى، شمل روايات الدعاء أيضاً.

والجواب عن هذه المشكلة، من وجوه:

الأول: أنّ أحاديث المحافظة على الدعاء تخصّص ما دلّ على جواز نقل الحديث بالمعنى، فكل حديثٍ يجوز نقله بالمعنى إلّا أحاديث الدعاء.

وهذا بناء على دخول الدعاء في الحديث، بمعناه العامّ واضح لاغبار عليه، وإلّا فهو خارج تخصّصاً.

الثاني: أنّ تجويزهم لنقل الحديث بالمعنى، إنّما هو فيما لم يُتعبّد بلفظه من نصوص الحديث، ممّا أُريد به لفظه الخاصّ من متون الأحاديث، حيث لا يجوز نقله بالمعنى، بل يُروى بعين لفظه، كالخُطب التي تلقى بمناسبات خاصة، والتي يستعمل فيها أساليب إنشائية بلاغية، وكذلك الكلمات القصار المحتوية على جوامع الحكم، والنصائح والمواعظ المذكورة في جمل قصيرة، ممّا فيه سجع معيّن يدلّ على العناية بخصوص الكلمات والألفاظ الواردة فيها، وكذلك نصوص الأدعية المأثورة الواردة في ظرف معيّن من زمان أو مكان أو مناسبة خاصة، وقد أمر الشارع بتلاوتها بعينها، فلا يجوز تخطّيها للناقل الذي يريد العمل بما أمر الشارع، وبذلك يمتاز الدعاء عن مطلق الحديث.

الثالث: أنّ الحديث يتفاوت عن الدعاء بأمر جذريّ، فإنّ الحديث إنّما يرويه الراوي وينقله ناسباً معناه إلى المرويّ عنه، وناقلاً له عنه، لكنّ الدعاء إنّما

يتلوه الداعي بقصد إنشاء ما يتلو من المعنى ، وقاصداً للمعاني التي في الكلام الخاصّ، في إطار هذه الألفاظ المعيّنة، بعنوان أنّه يناجي بها ربّه ، لا أنّه يرويها وينقلها عن منشئها، وإن كان إنّما أخذ نصّ الدعاء عنه نقلاً.

مع أنّ جواز رواية الحديث بالمعنى ليس على إطلاقه، بل:

١ـ إنّ رواية الحديث بلفظه أحسن ـ مهما أمكن ـ من روايته بالمعنى..

قال المحدّث العاملي: نعم، لا مرية أنّ روايته بلفظه أولى على كل حالٍ، ولهذا قدّم الفقهاء المرويَّ بلفظه على المرويِّ بمعناه[١٨].

وقد أكّد الأئمّة عليهم السلام على ذلك، فعن أبي بصير، قال:

قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قول الله جلّ ثناؤه: «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعونَ أحْسَنَهُ»[١٩]؟

قال عليه السلام: هو الرجل يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه، لا يزيد فيه ولا ينقص منه[٢٠].

٢ـ إنّ على الراوي بالمعنى أن يُشْعِر بذلك.

فقد صرّح علماء الحديث بأنّه ينبغي للراوي بالمعنى أن ينبّه على ذلك، فيقول بعد نقل الحديث: «أو كما قال» و «أو شبه ذلك» و «أو نحو ذلك» ليحترز من الكذب في نسبة نفس اللفظ المنقول إلى المنقول عنه[٢١].

وقد عمل بذلك جمع من الصحابة والمتقدّمين[٢٢].

ومن الواضح أنّ مثل هذا غير مناسب للدعاء.

٣ـ إنّ رواية الحديث بالمعنى مشروط بشرط أساسي ومهمّ وهو: أن يكون

---

(١٨) وصول الأخيار: ١٥٢.

(١٩) سورة الزمر ١٨/٣٩.

(٢٠) وصول الأخيار: ١٥٣، عن الكافي ٥١/١.

(٢١) لاحظ: وصول الأخيار: ١٥٥.

(٢٢) السُنّة قبل التدوين ـ لمحمد عجاج الخطيب ـ: ١٣٠.

الراوي بالمعنى عارفاً لمعنى الحديث واقفاً على أسراره وجميع خصوصياته.

قال العاملي: إنّما جوّزناه لمن يفهم الألفاظ ويعرف خواصّها ومقاصدها ويعلم عدم اختلال المراد منها فيما أدّاه...

وإذا لم يكن المحدّث عالماً بحقائق الألفاظ ومَجازاتها ومنطوقها ومفهومها ومقاصدها، خبيراً بما يُحيل إليه معانيها، لم تجز له الرواية بالمعنى بغير خلاف، بل يتعيّن اللفظ الذي سمعه إذا تحقّقه، وإلّا لم تجز له الرواية[٢٣].

وهذا يعني أنّ رواية الحديث بالمعنى لا تجوز إلّا لمن كان واعياً متحقّقاً ممّا يسمع، فطناً متنبّهاً لما يتحمّل ويؤدي، فيتعيّن عليه أداء اللفظ إن لم يصب المعنى، وإن أصاب المعنى وكان أهلاً لذلك لمعرفته بأسرار اللغة، وخواصها، ومرادفاتها، ومشتركها في مفرداتها، وخصائص تراكيبها، جاز له الرواية بالمعنى.

وأجمع العلماء كلّهم على أنّه لا يجوز للجاهل بمعنى ما ينقل أن يروي الحديث على المعنى[٢٤].

ومع هذا الشرط فلا يرد على تجويز الرواية بالمعنى ما توهّمه بعض المُغرضين من أنّ ذلك يؤدّي إلى تجويزه لجميع الرواة في كل الطبقات، وذلك يقتضي -بعد تغيير الألفاظ في جميع الطبقات- إلى سقوط الكلام الأول، لأنّ ذلك لا ينفكّ عن تفاوت -وإنْ قلّ- وإذا توالت التفاوتات، كان التفاوت الأخير فاحشاً[٢٥].

فإنّ التجويز خاصّ بالمقتدرين على درك المعاني وأداء جميع خصوصياتها بالدقّة المذكورة، ومن المعلوم أنّ ذلك كان خاصاً بالطبقة الأُولى، حيث كانت اللغة سليمة، وكانت السلائق على طبيعتها غير مشوبة، فلم يصب الحديث من نقلهم بالمعنى وبألفاظ أُخرى خلل أصلاً، ولم نحتمل في ما نقلوه

---

(٢٣) وصول الأخيار: ١٥١-١٥٢.

(٢٤) السُنّة قبل التدوين: ١٣٤.

(٢٥) أضواء على السُنّة -لمحمود أبي رَية-: ١٧٩، ولاحظ تعقيبنا عليه في كتابنا «تدوين الحديث».

تفويتاً لمعنى مراد أبداً.

وقد ظهر من خلال ما ذكرنا أنّ استدلالهم لمنع الرواية بالمعنى، بما روي عن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من قوله:

«نضّر الله عبداً سمع مقالتي وحفظها ووعاها، وأدّاها كما سمعها، فربّ حامل فقهٍ غير فقيه، وربّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه»[٢٦].

لا يتمّ، وذلك، لأنّ رواية المعنى مع مراعاة الشرط المذكور، أداءٌ لما قاله النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بلا تفاوت، فإنّ الرسول في أكثر حديثه كان بصدد تعليم الأحكام الشرعية، والسنن والآداب الإسلامية، ولا ريب أنّ مهمّة أصحابه كانت فهم مقاصده، ودرك معاني كلامه وإرشاداته، وإبلاغها إلى مَن وراءهم، سعياً في نشرها، وفي مثل هذه الأحاديث لم يكن للألفاظ دور إلّا مهمّة أداء المعاني وإيصالها، ولم ينظر إلى ألفاظ الحديث كعبارات خاصة لها ميزة تعبيريّة من بلاغة وفصاحة، ولا تحتوي على جهات بديعية، خاصة في أجواء التشريع، حيث كان المجتمع بحاجة إلى إصلاحات سريعة وعميقة.

وبذلك أيضاً يردّ على من جوّز نقل الحديث بالمعنى إلّا في حديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، بدعوى:

«أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أفصح من نطق بالضاد، وفي تراكيبه أسرار ودقائق، لا يوقف عليها إلّا بها كما هي، لأنّ لكل تركيب معنى... لو لم يراعَ ذلك لذهبت مقاصدها»[٢٧].

أقول: أمّا أحاديث الأحكام والسنن، فقد عرفت أنّ الغرض المهمّ فيها هو إيصال المعاني وإبلاغ المقصود، من دون نظر خاصّ إلى الألفاظ.

مع أنّ حديثاً ممّا لو كان محتوياً على مثل ذلك كان على الناقل له بالمعنى مراعاته مهما أمكن ونقله، وإلّا لم يكن ناقلاً له.

---

(٢٦) وصول الأخيار: ١٥١، والسُنّة قبل التدوين: ١٣٤.

(٢٧) وصول الأخيار: ١٥٦.

وأمّا في غير أحاديث الأحكام والسنن، من الأحاديث التي أخذ فيها بنظر الاعتبار احتواؤها على كلمات خاصة أو رُوعي فيها مقتضى الحال، وناسب تأليفاً معيناً من الكلمات وتركيباً خاصاً من الجمل، أو حالاً لفظية بعينها، من تقديم أو تأخير، وفصل أو وصل، بحيث لو تجاوزه الراوي كان مخالفاً لغرض المتكلّم ولم يؤدّ المعنى المراد له.

أمّا في هذه، فاشتراط المحافظة على المعنى يقتضي الاحتفاظ بالتراكيب الخاصة، ولا يجوز نقلها بالمعنى، لأداء ذلك إلى تغيير الألفاظ المفوّت لما ذكرنا.

ولذلك نجد أنّ الرواة كانوا يحافظون على ذلك أشدّ المحافظة من دون شك، فنقلوا الخطب والكتب والرسائل وجوامع الحكم والأدعية المأثورة، كما وردت عن المعصومين عليهم السلام مليئة بالمحسّنات البديعيّة، مفعمة بأسرار البلاغة، ومُزدانة بقوّة الفصاحة، بما يمكن استشمام روح المعصومين عليهم السلام فيها. ويمكن استشفاف أثرهم عليها.

وفي نهاية هذه الفقرة نقول: إنّ الدعاء لا يجوز نقله بالمعنى، بل يلزم المحافظة على نصّه، ولعلّ الحكمة في ذلك، مع أنّ الدعاء عملية روحية أكثر منها لفظية، أنّه يراد من نصوصه أن يتفاعل الداعي مع مولاه، وأولياءالله، تفاعلاً تامّاً، لا روحياً فقط، بل يلتزم بالاتّباع اللفظي لهم، ويتقيّد بالأوامر فيطبقها حرفياً بفكره وبلسانه.

إنّ الالتزام بنصٍّ ورد من الشرع في الدعاء، لا يعني فقط التوجّه إلى الله من أقرب الطرق وأليقها، بل يعني ـأيضاًـ السلوك في أبين المسالك، وأزهرها حجّة، وأنقاها وآمنها محجّة.

إنّ المقصود الأساسي من الدعاء، وهو الارتفاع إلى مقام القرب بشكل أكثر اطمئناناً ووثوقاً، كما يرفع مستوى الإنسان معنوياً بالاقتراب من أقرب البشر إليه، كذلك يوحّد صوته مع أصواتهم القدسية المستلهمة من مقامه الكريم، وهم محمّد وآله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

إنّ ذلك يحقّق جزءً من الهدف الأساسي من الدعاء، فلا نشكّ أنّ ما ورد من الأدعية المأثورة فيها آثار من مقام قُربهم، ونفحات من قُدس أنفاسهم، وجذبات من صفاء نفوسهم، يفقدها الداعي لو ابتعد عنها ويبتعد عن مقصوده لو تركها.

٤ـ دعوة إلى ضبط الأدعية وتحقيق كتبها:

ومن مجموع ما ذكرنا تتبيّن صحّة ما ذكره المحدّث الفقيه صاحب المعالم من أنّ الاختلاف الذي يقع ويكثر في متون الأخبار الواردة بمجرّد الأحكام ربّما كان العذر فيه تسويغ الرواية بالمعنى، وعدم انتهاء الاختلاف إلى الحدّ الذي يحصل به الاضطراب فيه.

وأمّا ما يتضمّن نقل الدعوات والأذكار المأثورة، فأيّ عذر للتسامح فيه، والتقصير في ضبطه[٢٨].

نعم، إنّ الأمانة الروحية تدعونا إلى المحافظة على الدعاء المأثور وضبطه وحفظه عن التحريف واللحن، فإنّ الدعاء من أفضل نِعَم الله التي ألْهَمها الإنسانَ.

وكذلك الأمانة العلمية تلزمنا المحافظة على النصوص الواردة وضبطها، فالأخبار التي ذكرناها تدلّ بوضوح على عدم جواز اللحن في الدعاء، كما تدلّ على لزوم الاحتفاظ بنصّه كما ورد.

وأعتقد: أنّ ذلك يؤكّد ضرورة التحقيق في كتب الدعاء لتقديم نصوص مضبوطة موثوقة للأدعية، كي تبلغ الأُمّة بتلاوتها ما ينشد منها من الآثار الروحية والمعنوية، وتبلغ المقام المحمود الذي وعده الله للداعين.

مضافاً إلى ما فيها من متعة تراثية حيث أنّ عشرات الكتب قد أُلّفت في

---

(٢٨) منتقى الجمان ٣/٢٥٨.

الدعاء، منذ عصور الأئمّة عليهم السلام وكذلك ما فيها من متع علمية، لأنّ الأدعية تحتوي على مضامين عالية في مجالات العقيدة والسلوك والوجدان.

وممّا يحزّ في القلب ما آلت إليه كتب الأدعية من إهمال وتشويه، على أثر تصدّي الجهلة لنقلها وتداولها، وعلى أثر جشع الطابعين -بل الطامعين- في إصدار ما هبّ ودبّ ممّا يدرّ الأرباح عليهم ، غافلين -أو متغافلين- عن أنّ عملهم هذا اعتداء صارخ على أمرٍ مقدّس لدى الأُمّة، وعلى أهمّ وسيلة من وسائل رقيّها في مجالات العقائد والأخلاق وفي مقامات السلوك والعرفان.

وهذا أيضاً ممّا يثقل المسؤولية على كاهل المحقّقين الأفاضل، والمؤسّسات الثقافية، كي تقوم بعبء هذا الأمر الهامّ، ويُنقذوا الدعاء وكتبه من براثن هؤلاء، ويرفعوه إلى مقامه العلمي والروحي اللائق.

فلا عذر في التقصير فيه!

٥ـ مصادر الدعاء المأثور:

إنّ مصادر الدعاء عند المسلمين هم النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، الذي هو أفصح من نطق بالضاد، وأليق من اكتسى الأمجاد، من خصّه الله بوحيه فبه فاه، وبالبلاغة حلّاه، وبمكارم الأخلاق حباه، باعتباره الصادع بالشريعة الغرّاء، والواسطة بين الأرض والسماء، والمطّلع على أسرار الخليقة، والواقف على المجاز والحقيقة، أعلم الناس وأعرفهم، وأشجع الناس وأورعهم، مَنْ لا يقاس به سواه، ولا يعرف حقيقة مقامه إلّا الله، الذي نبّاه، عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية.

وكذلك ابن عمّه وربيبه، ووصيّه وحبيبه، خليفته من بعده على أُمّته، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام «مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أُخذت قواعدها، وعلى أمثلته حذا

كلُّ قائل وخطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، لأنّ كلامه عليه مَسحة من العلم الإلٰهي، وفيه عَبقة من الكلام النبويّ»[٢٩].

وكذلك الأئمّة الأخيار من أهل البيت الأطهار عليهم السلام، العلماء الأوتاد، والزهّاد الأمجاد، والأئمّة الأجواد، الّذين تحلّوا من الفضائل بأحسنها، ومن الشمائل بأجلها، امتلأوا بالعظمة فأقرّها لهم العدوّ قبل الصديق، فكانوا أنواراً كاشفة لسواء الطريق، الأئمّة المنتجبون بنصّ القرآن، وكلام النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، للقيادة والإمامة، وما روي عنهم يدلّ على تحقّق ما قال فيهم أبوهم أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «وإنّا لَأُمراء الكلام، وفينا تَنَشَّبَتْ عروقُهُ، وعلينا تَهَدّلَتْ غُصُونُه»[٣٠].

هؤلاء هم مصادر الدعاء المأثور عندنا، وإنّ ما ورد عنهم من الدعاء لأصدق شاهد، وأقوى دليل على صدق ما قيل.

«فقد أنشأوا» كما يقول واحد من كبار العرفاء «من الدعوات الجليلة والمضامين اللطيفة ما فيه فوق طاقة البشر، من فنون العلم بأسماء الله وصفاته، وما يقتضيه جماله وجلاله، وحقّ أدب العبودية مع كلٍّ، فيما يناسبه مقامه وأوصافه وأحواله، وكيفية الاستعطاف والاسترحام، ولطيف الاستدلالات في استيجاب عفوه وكرمه وفضله، وعرض مذلّة الاعتراف عند مقدّس أبواب رأفته ورحمته.

ولعمري لو كان للإنسان فكرة أو فطنة لكفاه ما صدر في الدعاء من أئمّة الحقّ، عن كل معجز في إثبات الرسالة والامامة»[٣١].

وقد حُفظتْ من أدعية المعصومين عليهم السلام نماذج كثيرة، رويت بأسانيد صحيحة، سجّلت في كتب باسم «الصحيفة» لكل واحد منهم عليهم السلام صحيفة أو اكثر.

---

(٢٩) نهج البلاغة، مقدّمة الشريف الرضي: ٣٤.

(٣٠) نهج البلاغة، الخطبة (٢٣٣): ٣٥٤.

(٣١) المراقبات، للملكي: ١٠٥.

ومنها ما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام بعنوان: الصحيفة العلوية الأُولى والثانية، الجامعة لأدعية سيّدنا أميرالمؤمنين عليه السلام.

وأمّا الإمام السجّاد، زين العابدين، علي بن الحسين عليه السلام، فقد اشتهرت أدعيته الكثيرة لأنّه عليه السلام اتّخذ الدعاء في ظروف سياسية قاسية وسيلةً لتوعية الأُمّة وتثقيفها، وبثّ العقائد الحقّة حفاظاً من أن تمسّها الدول الظالمة المستهترة بسوء.

فقد أملى جملةً وافرةً من أدعيته، فجُمعت في كتاب باسم «الصحيفة الكاملة» وهي متداولة، كثيرة الطبعات.

ثم جمع عدّة من العلماء سائر أدعيته في صحف أُخرى بأسماء «الصحيفة السجّادية الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة» وكلّها مطبوعة متداولة[٣٢].

وأمّا سائر مصادر الدعاء المأثور:

فقد بذل علماء الإسلام جهوداً وفيرة في جمع ما يتعلّق بالدعاء من آيات الكتاب، وأحاديث العترة الأطياب، وما ورد عنهم من الدعاء المأثور في كتب قيّمة، منذ عصور الأئمّة عليهم السلام وحتى يومنا هذا، تحت عنوان «كتاب الدعاء» أو بأسماء خاصّة.

كما ضمّن مؤلّفو الجوامع الكبيرة، أبواباً وكتباً خاصة بالدعاء وجمعوا فيها ما يرتبط بالدعاء من الأحاديث والنصوص.

فهذا كتاب «الكافي» لأبي جعفر، محمد بن يعقوب، الكليني، الرازي (ت ٣٢٩) وهو من أُصول الحديث عند الشّيعة الإمامية ـ جعل السادس من كتبه باسم «كتاب الدعاء» وأورد فيه ٥٥ باباً، تحتوي على ٤٠٨ أحاديث[٣٣].

---

(٣٢) أُنظر: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، للسيّد حسن الأمين ١٢/٥٠ بعنوان «الدعاء»، وص ٨٠ بعنوان «الصحيفة السجّادية».

(٣٣) أُنظر: الكافي ٢/٤٦٦-٥٧٧ طبعة دارالكتب.

وأمّا الكتب الخاصة بالأدعية فكثيرة جدّاً، وقد ذكرها شيخنا الطهراني في موسوعته «الذريعة»[٣٤] بعنوان الدعاء، والدعوات، عدا الكتب المعنونة بأسماء خاصة على حروف المعجم.

وقد تخصّص بعض العلماء في موضوع الدعاء، فأوْلوه عنايةً فائقةً، وبذلوا أوسع جهودهم في مجاله.

منهم السيّد العالم الزاهد علي بن موسى بن جعفربن طاووس الحلّي (ت ٦٦٤) حيث جمع الأدعية ونظمها في كتبه مستفيداً من خزانة كتبه الزاخرة بعيون التراث المجيد، وخاصة ما أُلّف في الدعاء، وقد بلغت كتب الأدعية التي كانت عنده في أواخر حياته أكثر من (سبعين) مجلّداً من كتب الدعاء[٣٥].

ومن أهمّ كتب ابن طاووس المطبوعة: الإقبال، ومُهَج الدعوات، وفلاح السائل، وجمال الأُسبوع.

ومنهم العالم الفاضل الأديب البارع، العلاّمة تقي الدين، إبراهيم بن علي، العاملي، الكفعمي الذي تدلّ مؤلفاته على تضلّعه في العلوم الأدبية عامة، والبلاغية خاصة، وقد أبدع فيما ألّفه من كتب خاصة بالدعاء من حيث النظم والتحقيق والتثبّت، والاعتماد على مصادر موثوقة.

ومن مؤلفاته: البلد الأمين، والمصباح.

وأخيراً: لو اتيح لمصادر الدعاء من يجمع أسماءها وينظّم لها فهرساً، وكشّافاً جامعاً، لبلغت المئات، ولدلّت على اهتمام بليغ من قبل العلماء، وخاصة القدماء، بأمر الدعاء والتأليف فيه.

* * *

---

(٣٤) الذريعة ٨/١٨٢-١٩٦ و ١٩٩-٢٠٦، بعنوان الدعاء والدعوات، وانظر: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ج ١٢ مجلد ٣ ص ٥٠.

(٣٥) كشف المحجّة لثمرة المهجة: المقدّمة، بقلم الشيخ الطهراني، وانظر صفحة ١٣١ من أصل الكتاب.

٦ـ الدعاء والأدب العربي:

يقول الدكتور حسين علي محفوظ: «الدعاء» جانب مهمّ من الآداب العربية، نسيه تاريخ الأدب، وتجاهله الأُدباء، وأغفله النقّاد وكادوا يطمسون الإشارة إلى بلاغته، على الرغم من أنّه: نثرٌ فنّيّ رائع، وأُسلوب ناصع من أجناس المنثور، ونَمط بديع من أفانين التعبير، وطريقة بارعة من أنواع البيان، ومسلك معجب من فنون الكلام.

والحقّ أنّ ذلك النهج العبقري المعجز، من بدائع بلاغات النبي صلّى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام التي لم يَرْقَ إليها غيرُ طيرِهم، ولم تسمُ إليها سوى أقلامهم.

فالدعاءَ أدب جميل، وحديث مبارك، ولغة غنيّة ودين قيّم، وبلاغة عبقرية المجاز، إلٰهيّة المسحة، نبويّة العبقة، تفترّ عن إيمان جمّ الفضائل، وزهد دثر المحاسن، وتواضع أبيض المحجّة، وعمل أغرّ الطريقة، وتُقاة عظيمة القدر[٣٦].

حقّاً إنّ الدعاء يمثّل واحداً من أرفع أساليب الأداء العربي في بلاغته الناصعة، وتعبيره العذب، وهو من أوقع الكلام في الكشف عن مكامن الضمير، ومرادات النفس ومتطلّبات الروح، مع تطوّره وإبداعه في استخدام أساليب الاستدعاء والرجاء والعتاب والاعتذار، وفي أطوار المرونة والعنف، والعجلة والصبر، واليسر والعسر، والاضطرار والرخاء.

وأيضاً: الكلمة الناطقة عن التنازلات والتعهّدات والالتزامات في صيغ متكاملة الأطراف، جامعة الأُسس، رصينة البنود، فصيحة المفردات، بليغة التراكيب.

وهذا أمر يتكفّل الإفصاح عنه والبرهنة عليه، نصوص الدعاء المأثور

---

(٣٦) الصحيفة السجّادية، مقال نشر في مجلة «البلاغ» الكاظمية، السنة الأُولى، العدد ٦.

بشهادة المنقطعين إلى الأدب ونقده وتحليله اللفظي والمعنوي.

ومن المؤسف أنّ أدب الدعاء طواه إغفال الأُدباء، بل تعدّى إغفالهم لجانب بديعه وغريبه ونحوه وأُسلوبه أيضاً، بالرغم من صرف جهود واسعة في الأضعف منه والأخسّ من مُجون الشعراء، ولُغَط الأعْراب في زوايا البوادي أو النوادي.

إلّا أنّ بعض فطاحل النحو وفحول اللغة، قد تنبّهوا إلى هذا الأمر الخطير، كابن مالك النحوي، والمحقّق الشيخ نجم الأئمّة الرضي شارح «الكافية» وابن منظور الأنصاري صاحب «لسان العرب» وابن فارس صاحب «المقاييس» فقد احتجّوا في مؤلفاتهم بحديث النبي وأهل البيت عليهم السلام.

قال البغدادي: الصواب جواز الاحتجاج بالحديث النبوي في ضبط ألفاظه، ويلحق به ما روي عن الصحابة وأهل البيت عليهم السلام، كما صنع الشارح المحقّق الرضي[٣٧].

هذا في مطلق الحديث، وأمّا خصوص ما احتوى على الدعاء منه، فاهتمام الشارع والمتشرّعة بأمر ضبطها والمحافظة عليها، يدفع كلّ الشُبه المثارة حولها فلا نزاع في الاحتجاج بها في المباحث اللغوية كافّة.

والحقّ أنّ «الدعاء» الشريف، خزينة غنية بالمعارف العقلية، والأخلاق الفاضلة، وكنز لغوي حافل بالمفردات الفصيحة، والتراكيب البليغة، خالية عن أدنى شوب أو لَكْنَة.

فأين أولياء اللّغة من هذه الحقيقة السافرة؟

وأين هم من هذا الكنز العظيم؟

وأين هم من هذا المورد العذب؟

والله وليّ التوفيق، وآخر دعواهم أن الحمدلله ربّ العالمين.

---

(٣٧) خزانة الأدب، للبغدادي ١/٤-٧، الطبعة الأُولى.

مراجع البحث

١ـ الأسماء المبهمة من الأنباء المحكمة، للخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت ٤٦٣)، أخرجه دكتور عزّالدين علي السيّد، مكتبة الخانجي، الطبعة الأُولى، سنة ١٤٠٥، القاهرة.

٢ـ أضواء على السُنّة المحمدية، لمحمود أبي ريّة، الطبعة الخامسة، دارالمعارف، القاهرة.

٣ـ إكمال الدين وإتمام النعمة، للصدوق الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي (ت ٣٨١)، تحقيق علي أكبر الغفّاري، طهران ١٣٩٥، الطبعة الثانية، دارالكتب الإسلامية.

٤ـ بحارالأنوار، للمجلسي محمدباقربن محمدتقي الأصفهاني (ت ١١١٠)، الطبعة الحديثة، إيران ولبنان.

٥ـ تدريب الراوي، للسيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١)، تحقيق عبداللطيف عبدالوهّاب، القاهرة، الطبعة الأُولى، ١٣٧٩ هـ.

٦ـ الحدائق الوردية، للمحلّي، طبع دار أُسامة، دمشق.

٧ـ خزانة الأدب، للبغدادي عبدالقادربن عمر، الطبعة الأُولى، المطبعة المنيرية، القاهرة.

٨ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، للسيّد حسن الأمين، دارالتعارف، بيروت، ١٣٩٥ هـ.

٩ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للشيخ آغابزرك الطهراني محمد محسن بن محمد رضا (ت ١٣٨٩)، طبع النجف وطهران.

١٠ـ السُنّة قبل التدوين، لمحمد عجاج الخطيب، دارالفكر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٩١ هـ.

١١ـ سنن الترمذي.

١٢ـ سنن ابن ماجة القزويني.

١٣ـ سنن أبي داود.

١٤ـ صحيح البخاري.

١٥- صحيح مسلم.

١٦- الصحيفة السجّادية، مقال مستلّ من مجلة «البلاغ»، العدد ٦، السنة الأُولى الكاظمية.

١٧- عدّة الداعي، لابن فهد الحلّي أحمد بن محمد الأسدي (ت ٨٤١)، مطبعة حكمت، مكتبة الوجداني، قم ١٣٩٢ هـ.

١٨- قواعد التحديث، للقاسمي جمال الدين الشامي، طبع دمشق، سنة ١٣٥٢ هـ.

١٩- الكافي -الأُصول-، للشيخ الثقة أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٣٢٩)، دارالكتب الإسلامية، صحّحه علي أكبر الغفّاري، مطبعة حيدري، طهران.

٢٠- كشف المحجّة لثمرة المهجة، للسيّد ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر الحلّي (ت ٦٦٤)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٠، قدّم له الشيخ آغابزرك الطهراني.

٢١- الكفاية إلى علوم الرواية، للخطيب البغدادي علي بن أحمد بن ثابت (ت ٤٦٣)، طبع مصر، الطبعة الأُولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٢ م.

٢٢- كنزالعمال، للمتّقي الهندي.

٢٣- المراقبات، للحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي (ت ١٣٤٣)، نشر مكتبة الشفيعي، أصفهان، مطبعة حيدري ١٣٨١.

٢٤- مسند أحمد بن حنبل، طبع مصر، في ستّة مجلّدات.

٢٥- المعجم الصغير، للطبراني.

٢٦- منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان، للشيخ حسن صاحب المعالم (ت ١٠١١)، طبع جامعة المدرّسين، قم ١٤٠٢، تحقيق علي أكبر الغفّاري.

٢٧- نهج البلاغة، من كلام الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام، جمع السيّد الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوى (ت ٤٠٦)، تحقيق صبحي الصالح، الطبعة الأُولى، بيروت ١٣٨٧.

٢٨- وسائل الشيعة، للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت ١١٠٤)، تحقيق الشيخ عبدالرحيم الرّباني الشيرازي، المطبعة الإسلامية، طهران ١٣٩٨.

٢٩- وصول الأخيار إلى أُصول الأخبار، للشيخ المحقّق المحدّث الشيخ حسين بن

عبدالصمد الحارثي (ت ٩٨٤)، تحقيق السيّد عبداللطيف الكوهكمري، مطبعة الخيّام، قم ١٤٠١ هـ.

وآخر دعواهم أنِ الحمدُلله ربّ العالمين.